دراسة فاعلية نحو النص والبلاغة العربية في تحليل الظواهر الصوتية

(مقارنة تحليلية في خطبة "الغرّاء" و"الأشباح" من نهج البلاغة)

الأستاذ المشارك الدكتور

آفرين زارع

جمهورية إيران الإسلامية

جامعة شيراز – كلية الآداب والعلوم الإنسانية

dr.afarin.zare@hotmail.com

راضية كريمي

ماجستير في اللغة العربية – جامعة شيراز

الملخص

إنّ دراسة الأصوات ومميزاتها العلمية واللسانية وما يعرف بالصوتيات قديم في تراثنا الإسلامي، وقد تطرق العلماء من العرب، والهنود، واليونانيين، والفرس قديماً، وعلماء الغرب حديثاً إلى دراسة الأصوات وجوانبها المختلفة. فظهرت شتى الدراسات مرتكزة على أصول لغوية، وبلاغية، وتجويدية، وعلمية، وفيزيائية ونصية ...إلخ. ومن الطبيعي أن نواجه في النظريات التي ظهرت يوماً بعد يوم معايير ومصطلحات متشابهة تحثّ الإنسان على معرفة ما يميّز نظرية عن الأخرى .

تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة بين فاعلية نحو النص والبلاغة العربية في تحليل الظواهر الصوتية وتبيين مختلف الطرق التي يسير عليها كل من البلغاء وعلماء النص في التحليل بمنهج وصفي- تحليلي. فيتمّ التركيز في هذا المجال على تعريف الظواهر الصوتية المشتركة بين البلاغة العربية ونحو النص وتحديد نقاط الاتفاق والافتراق بينهما عند تحليل النصوص الأدبية، وذلك في إطار تحليل نص أدبي بليغ، وسفر عظيم نهج البلاغة .

من أهم ما توصلت إليه الدراسة هو اختلاف البلاغة ونحو النص في الوظيفة والهدف والأسلوب ولزوم الانتباه لفاعلية كل علم واستعماله في موضعه، وتقدير معطيات تراثنا العلمي الغالي. فما يهمّ نحو النص هو الأسس التي تؤدّي إلى تكوين

الترابط والتماسك بين أجزاء النص، بينما تركز البلاغة على ما يجعل الكلام أكثر رونقاً وأتمّ جمالاً وأشدّ وقعاً في النفوس .

الكلمات الدليلية : **البلاغة** ، **نحو النص** ، **التماسك الصوتي** ، **السجع والتجنيس** .

المقدمة

أولى اللغويون بالصوت اهتماما حديثاً كجزء من النص يشارك في تحقيق تماسكه وترابطه. النص بنية لغوية لابدّ أن تكون بين أجزائها علاقات التماسك وما يسمى بالانسجام. فلذلك تكلم علماء النص عن عناصر لفظية، ومعنوية، نحوية، ومعجمية، وصوتية تُحقّق لنص ما ترابطه وتلاحمه. ومن هذه العناصر هو الربط الصوتي الذي يدخل تحت مجموعة العناصر اللفظية لتحقيق الانسجام في دائرة علم حديث سمي بـ«علم لغة النص» أو «نحو النص» أو «أجرومية النص.«

وتحدثت البلاغة عن الظواهر الصوتية في الكلام في أبواب مختلفة منها باب البديع الذي احتل مكاناً ثابتاً في أكثر الكتب البلاغية وصار مادة علم غنيّ للكشف عن مظاهر الروعة والإعجاز في القرآن الكريم، واحتوى على عناصر استخدمها الباحثون منذ القدم لتحليل مظاهر الجمال وحسن التأثير في الكلام نظماً ونثراً. تسلط هذه الدراسة الضوء على المعايير الصوتية التحليلية التي عالجها العلماء المسلمون في علمي البلاغة، ونحو النص موضحة طرق تحليل كل من هذين العلمين، ومدى دقتهما في التحليل.

خلفية البحث

قام كثير من الباحثين بتبيين معايير نحو النص وبذلك أسهموا في تفصيل أبواب هذا العلم وإيضاح مختلف جوانبه، منهم هاينه من (١٩٩٩)، الذي تحدّث عن مباحث تحليل الخطاب، والنظرية السلوكية، وتوظيف النصوص في الاتصال. واستفاد كثيرون من كتاب فان دايك المترجَم(٢٠٠١) وكتابته الواضحة والمتعمّقة في علم النص.

وعمل بعض الباحثين على إثبات أصول تراثية للدراسات النصية في كتبهم، منهم عبد المجيد (١٩٩٨) الذي عالج الفرق بين الدراسات اللسانية النصية ودراسات البديع في البلاغة العربية وخصّص لكل منهما فصولاً شارحا فيها مواضع اهتمام كل منهما في التحليل. وارتكزت دراسة الفقي(٢٠٠٠) على التماسك النصي بوصفه أهم مظاهر

التحليل النصي، متناولة المفاهيم النصية بالوصف والتفسير، ثم طبقت تلك الأسس النظرية على السور المكية. وعالج مصلوح في كتابه(٢٠٠٣) البلاغة والأسلوبيات اللسانية والعلاقة بينهما. ودرس خليل(٢٠٠٩) أسس النصية والتماسك التي اشتهرت اليوم وقام بإلقاء الضوء على آراء الجرجاني وجهوده في تبيين هذه الأسس .

وهناك دراسات تخصّ مبادئ لسانيات النص، منها كتاب عفيفي(٢٠٠١) الذي يشرح أشكال الترابط النصي ووسائله ولا سيما عنصر السبك أو الترابط اللفظي. وشبل محمد(٢٠٠٧) التي ألفت كتابها على أساس الأصول التي ذهب إليها هاليداي وحسن أكثر من غيرهما، وأحمد فرج(٢٠٠٧)، فهو تطرق إلى المعايير السبعة المذكورة في الكتب النصية، بادئاً بدراسة السياق المصاحب للنص ومتحدثاً عن المرسل والمتلقي ووظيفة النص كما عالج البعد الصوتي للعناصر النصية.

ومن الكتب البلاغية القديمة المهمة يمكن الإشارة إلى كتاب الجرجاني(٢٠٠٧) الذي عالج فيه الفصاحة، والبلاغة، والتقديم، والتأخير، والحذف، والذكر، والمباحث الصوتية، مرتكزاً في ذلك كله على نظم الكلام ودوره المهم في استقامة الكلام وتلاحم أجزائه. ومنها كتاب العسكري(١٩٥٢) في صناعتي الكتابة والشعر والذي حاول فيه أن يقدّم الأصول البلاغية التي تجعل الكلام والشعر قويماً وخالياً من العيب والخطأ و الحشو ، ولكتاب ابن الأثير (د.ت) وكتابي القزويني(١٩٣٢) و(٢٠٠٣) فوائد جمة في معرفة عناصر البلاغة، حيث تحدث القزويني فيهما عن جميع المواد البلاغية المهمة التي وصلت إليه من آثار السالفين في أبواب المعاني و البيان و البديع. ومن الكتب البلاغية الجديدة كتاب أبو العدوس(٢٠٠٧) الذي يساعد الباحث على معرفة سير نشأة البلاغة والنقد وتطورهما، وتشكيل مختلف المدارس البلاغية؛ تطرّق المؤلف في هذا الكتاب إلى تقديم عناصر البلاغة في علوم المعاني والبيان والبديع.

كثيراً ما نسمع أو نقرأ في كتب بعض المؤلفين العرب أنهم يتحدثون عن لزوم الانتقال من البلاغة، بلاغة التقعيد على الجملة أو البيت، إلى دراسة لسانيات النص التي تركز – على رأيهم – على الوصف والتشخيص. فبدأ هؤلاء المؤلفون بالقياس بين البلاغة واللسانيات النصية لكن حداثة البحث النصي وجدة مصطلحاته ساقهم إلى أن

يتغافلوا عن البلاغة ولايعرفوا مدى مقدرتها على تحليل النصوص الأدبية معرفة جديرة بها.

فالهدف من هذه الدراسة هو توصيف نظرة علمي البلاغة ونحو النص إلى ما يمت بصلة الصوتيات والقياس بينهما، وتقدير قيمة كل منهما عند التحليل. ومن الضروري تبيين كل علم على أساس معاييره وأصوله الخاص، لئلا يسبب عدم معرفة معطيات كل علم إلى الإجحاف بحقه كما يغعل بعض الباحثين، حيث يقومون بإلصاق المفاهيم البلاغية بمفاهيم نحو النص، ويجعلون آليات تحليل البلاغة منحصرة على إرادة الربط بين أجزاء الكلام. فمن الواجب أن نعرف:

- بم اهتم علماء النص والبلغاء في تحليل الظواهر الصوتية؟
- وما هي مقومات العناصر البلاغية في الكشف عن جماليات نهج البلاغة؟
- ما هي فاعلية الربط الصوتي في تحليل نص أدبي كنهج البلاغة؟

مسار الدراسات اللغوية ونشأة نحو النص

بدأت ملامح نحو النص في بداية النصف الثاني من القرن العشرين بدراسة زيليج هاريس (١٩٥٢)، فهو ذهب إلى أن اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك(١)، وابتدعت رقية حسن البحث النصي في زمن مبكر (١٩٦٨) واستعرضت قواعد التماسك النحوي في الإنجليزية المنطوقة والمكتوبة، وبعد ذلك وفي عام (١٩٧٦) صنفت مع هاليداي كتاباً آخر حول التماسك في الإنجليزية وأضافا فيه إلى القواعد والأمثلة والمفاهيم عدداً آخر(٢.(

أما الذي وضع أسساً كاملة لنحو النص فهو فان دايك، فإليه يرجع تاريخ تأسيس علم النص؛ حيث حاول منذ بداية عام (١٩٧٢) إقامة أنحاء النص في كتابه وفي عام (١٩٧٧) إقامة نحو عام للنص يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية(٣)، وتبعه فان دايك (١٩٨٠) بكتاب أكثر شمولاً؛ إذ ربط نشأة علم النص بعلم البلاغة ومعنى ذلك أن علم النص منحدر من علم البلاغة(٤.(

وتطوّرت الدراسات النصية على يد دي بوجراند ودريسلر ، حيث قدما في كتابهما (١٩٨١) أسساً موضوعية في دراسة النصوص وجمعا في منهجهما الجوانب اللغوية والجوانب البراجماتية(٥.(

أما اللغويون المسلمون فقد كشفوا عن مستويات لسانية مختلفة وبرعوا فيها وقاموا بتأليف كتب قيمة عديدة في أبوابها المختلفة. ومن أهم هذه المستويات المشار إليها في كتب تاريخ علم اللغة يمكن الإشارة إلى: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى المعجمي، والمستوى الدلالي.

عني المسلمون بدراسة الأصوات منذ القرن الثاني للهجرة، وهو قرن النمو والإزدهار، لكنه يبدو أن الدرس الصوتي هذا تعدد بتعدد مجالات التوظيف في العلوم الإسلامية، حيث مرَّت دراسة الأصوات قديماً بخمس مراحل:

- الاتجاه اللغوي: هذا الاتجاه هو الاتجاه الرئيس في علم الصوتيات الذي قام به الخليل بن أحمد الفراهيدي بتبيين من الإمام عليٍّ بن أبي طالب،عليه السلام، لمعنى الترتيل بأنه تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف، فهو الموجة الأولى إلى تدبر مخارج الحروف حيث سلَّط الإمام –عليه السلام- الأضواء على حركات الإعراب. فعالج الفراهيدي دراسة الأصوات لأول مرة بإيضاح مخارج الحروف وصفاتها(٦.(
- الاتجاه الصرفي: هذا ما ذهب إليه سيبويه في الكتاب الذي يعتبر أول مصدر لعلم الأصوات في العربية، وابن جني الذي درس الأصوات في دائرة علم خاص قائم بذاته، فهو أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل(٧.(
- الاتجاه البلاغي: الذي مثله دارسو الإعجاز والبلاغة والنقد، حيث عرضوا لفصاحة الكلمة بائتلاف الحروف حسب المخارج، حسن التأليف أو قبحه، ومنهم الجرجاني، والرماني، وابن سنان الخفاجي.
- اتجاه علم التجويد: ظهر هذا الاتجاه في القرن الرابع تبعا لتضافر القراءات من جانب والدرس الصوتي من جانب آخر، إلى أن يحظى باهتمام العلماء ويصبح أهم الاتجاهات وأكثرها تأليفاً.
- الاتجاه العلمي: يأتي هذا الاتجاه ثمرة الترجمة المباشرة من الطب اليوناني. عالجه أبو علي سينا في رسالته "أسباب حدوث الحروف"، حيث عرض فيها جوانب فيزيائية تتصل بالصوت، وكيفية إخراجها من جهاز النطق(٨.(

هناك مستوى آخر من مستويات الدرس اللغوي عند العرب وهو مصدر قويم وغني في الدراسات اللغوية، والصوتية، ومادة علم لم يسبق إليه غيرهم ألا وهو المستوى

البلاغي الذي تطور بيد المسلمين. فإن الحكم على الشعر بجيده ورديئه، والتكلم عن أساليب الكلام المختلفة، ووضع قوانين محكمة للكلام الفصيح والبليغ، والتعرف على مصادر الجمال والإعجاز في القرآن الكريم، وغيرها من محاولات نقدية وبلاغية، كل ذلك يدل على إلمام العرب والمسلمين بلغتهم، لغة القرآن، والتعرّف عليها وعلى مقوماتها دلالة واضحة .

التماسك اللفظي والتماسك المعنوي

يذهب العلماء في علم لغة النص إلى ضرورة وجود عناصر تربط بين الأجزاء في النص وتسهل فهم الجمل ودلالاتها «من هنا يكون الترابط النصي أو التماسك النصي هو وجود علاقة بين أجزاء النص أو جمل النص أو فقراته؛ لفظية ومعنوية، وكلاهما يؤدي دوراً تفسيرياً، لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص□(٩)، ومن العناصر الأساسية في تفسير النصية، التلاحم والربط بين الجمل من بداية النص إلى نهايته لفظاً ومعنىً. ميَّز فان دايك بين مصطلحين التماسك والانسجام وخصَّ كل مصطلح لمستوى محدد حيث استخدم التماسك لوصف علاقة الوحدة على مستوى البنية السطحية للنص، واعتبر للانسجام وظيفة أخرى وهي تحقيق الترابط في المستوى العميق للنص(١٠)، التماسك اللفظي، والسبك، والربط الشكلي، والاتساق، والبنية السطحية كلها تسميات للجانب اللغوي والظاهري من ترابط النص، والانسجام، والتماسك المعنوي، والحبك، والربط الدلالي، والبنية العميقة تسميات للجانب الدلالي والمعنوي من ترابط النص. فما يعالج دراسةَ التلاحم والترابط بين مكونات النص هما معيارا السبك والحبك أو التماسك اللفظي والتماسك المعنوي.

فالحبك تلك العلاقات السياقية التي تربط معاني الأقوال في الخطاب، أو معاني الجمل في النص، معتمدة على معرفة المتحدثين أو السياق المحيط بهم، و إن لم يكن في النص روابط نحوية أو معجمية(١١.(

و المهم في هذه الدراسة هو السبك؛ إذ هو معيار يهتم بظاهر النص، ويدرس الوسائل التي يتحقق بها الاستمرار اللفظي، فيختص السبك «بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص . ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق

بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها؛ بما هي كم متصل على صفحة الورق. وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية»(١٢.(

ويشتمل السبك، أو البنية السطحية للنص على ثلاثة أنواع من الروابط تسهم في تحقيق التماسك والترابط بين الجمل، وهي روابط نحوية، ومعجمية، وصوتية. وبذلك يمكن القول بأن السبك أو التماسك الشكلي والظاهري ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- التماسك النحوي
- التماسك المعجمي
- التماسك الصوتي

يشرح التماسك اللفظي علاقات الربط بواسطة وسائل التماسك النحوي كأدوات الربط، والإحالة، والحذف، والاستبدال ووسائل التماسك المعجمي كالتكرار، والتضام ووسائل التماسك الصوتي كالسجع، والجناس، والتوازي الصوتي.

التماسك الصوتي وعناصره

أولى علماء لغة النص اهتماماً بدراسة وسائل الربط اللفظي من الربط النحوي والربط المعجمي، وهناك إشارات ضئيلة إلى مجموعة الوسائل الشكلية الصوتية التي تؤدي إلى ترابط النص مثلما يشير إليه دي بوجراند من عناصر صوتية تربط بين أجزاء النص، وهي:

- الوزن والقافية في الكلام المنظوم
- السجع نحو ما نجد في جميع مقاطع خطبة «الغرّاء□: «فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ«
- الجناس نحو: «حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا»، «ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِساناً لَافِظاً، وَبَصَراً لَاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً«
- التوازي الصوتي(١٣)، نحو: «لَايَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً«

ويشير فان دايك إلى أنماط ثلاثة لعناصر السبك الصوتية وهي جناس البداية (في الكلام المنظوم)، والسجع، وتجانس الصوائت . تقوم هذه الأنماط على مبدأ التكرار

الفونيمي ؛ حيث يستخدم في كلمة ما فونيم أو فونيمات سبق استخدامها في كلمة أخرى، «ومن ثم رأى فان دايك أن مثل هذه الأنماط يجب دراستها بوصفها علاقات تربط بين العناصر المتكرر فيها الفونيم»(١٤).

ويهتم الباحثون في الدراسات النصية بأنواع الجناس نحو الجناس التام والجناس المحرف، إذ يكتسب جميع هذه الأنواع من المنظور النصي بعداً خطيراً في تأسيس نصية النص؛ حين تجاوز حدوده أسوار الجملة إلى اعتباره في كلية النص؛ بما هو واحد من تجليات السبك الذي هو معيار من معايير النصية(١٥).

ومن أنواع الجناس هو جناس الاشتقاق وهو ما أطلق عليه دي بوجراند ودريسلر التكرار الجزئي (١٦)، نحو هذا المقطع من خطبة الأشباح: «اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُول، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ.«

وللتوازي الصوتي أقسام لكل منها ميزتها وأهميتها عند التحليل في الدراسات النصية، وسنتحدث عن هذه الأقسام في قسم التوازي الصوتي .

فأكثر عناصر التماسك الصوتي شيوعاً في الدراسات النصية التحليلية هو السجع، والجناس، والتوازي الصوتي. هذه هي العناصر التي درستها البلاغة العربية منذ القدم فهي قديمة في البحث والتدقيق و«قد قدمت البلاغة العربية من خلال (علم البديع) إسهامات لها أهميتها في الكشف عن أنواع الروابط الصوتية في النصوص العربية من سجع وجناس ووزن وقافية»(١٧).

المحسنات البديعية الصوتية في البلاغة

قد اهتمت البلاغة بالصوت في باب البديع، والمحسنات البديعية اللفظية التي ترتبط بالصوت كثيرة أشهرها: السجع، والجناس، والموازنة، والقلب، ولزوم ما لايلزم، و..إلخ. يخص عدد من هذه المحسنات بالبلاغة كالموازنة والقلب، واللزوم، وبعضعها مشتركة بين دراسات نحو النص ودراسات البلاغة كالسجع والجناس. وفيما يلي تعاريف لهذه العناصر في مختلف الكتب البلاغية :

السجع هو «اتفاق فواصل الكلام في الحرف الأخير دون تقيد بالوزن، وأفضله ما تساوت فقره»(١٨)، وحده على أساس كلام ابن الأثير هو «تواطؤ الفواصل في الكلام

المنثور على حرف واحد»(١٩). والتوازي أحد أنواع السجع في الكلام، وسنتحدث عنها في قسم التوازي الصوتي.

والجناس أحد ضروب المحسنات البديعية القائمة على المماثلة اللفظية والمراد به «اتفاق الألفاظ في تأليف كل حروفها أو بعضها، واختلافها في دلالتها»(٢٠)، ويقول أبو هلال العسكري في تعريفه «التجنيس أن يورد المتكلم كلمتين يجانس كل واحد منهما صاحبتها في تأليف حروفها»(٢١ .(

وقد عرّفت البلاغة العربية الجناس بأنه «تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وسبب هذه التسمية راجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد»(٢٢)، فاهتم علماء البلاغة قديماً إلى موضوع الجناس وأكثروا من تقسيمه وإيراد أنواعه، و من أنواع الجناس عندهم هو: التام، غير التام، ومن أنواع هذين القسمين: المماثل والتركيب، والمتشابه، والمطرف، والاشتقاق، والمحرّف والناقص(٢٣.(

يعرف الجناس التام باتفاق اللفظتين حروفاً، وعدداً، وهيئة، وترتيباً(٢٤)، نحو: قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ ﴾ (الروم، ٣٠: ٥٥)، لايوجد هذا النوع من الجناس في الخطبة الغرّاء والأشباح، ومن أنواع الجناس غير التام في الخطبتين:

الجناس غير التام: وهو ما اختلفت اللفظتان في هيئة الحروف أو عددها أو أنواعها أو ترتيبها، نحو:

أ. المحرّف: إذا اختلفت اللفظتان في هيئات الحروف فقط، نحو: «اتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، .. وَحُذِّرَ فَحَذِرَ.«..

ب. الناقص: إذا اختلفت اللفظتان في عدد الحروف :

- إذا كان الاختلاف بزيادة حرف في الأول: «مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الحَالُ، وَلاَ كَانَ فِي مَكَان فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الانتقَالُ.«
- الاختلاف بزيادة حرف في الوسط: «الْحَمْدُ للهِ الَّذي لاَ يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ، وَلاَ يُكْدِيهِ الإِعْطَاء وَالْجُودُ»، «وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الأَنْعَامِ مَا لاَ تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الأَنَامِ«
- الاختلاف بزيادة حرف في الآخر: «يَمدّون من أيدٍ عواص عواصم«

ج. المضارع: إذا اختلفت اللفظتان في أنواع الحروف، وكان الحرفان متقاربين: «وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاَقِهِمْ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ.«

د. اللاحق: إذا اختلفت اللفظتان في أنواع الحروف، وكان الحرفان غير متقاربين(٢٥)، نحو: «لاَ فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، وَلاَ دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلاَ قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلاَ مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ.«

جناس الاشتقاق نحو: «لأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لاَ يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلاَ يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلحِّينَ»، و«وَأَجْرَاها عَلَى أَذْلاَلِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا.«

إذن العناصر المشتركة بين البلاغة والدراسات النصية هي السجع، والاشتقاق والتجنيس، والتوازي الصوتي فمن الجدير أن نركز على هذه العناصر عند التحليل النصي والبلاغي.

فاعلية البلاغة ونحو النص في تحليل السجع والجناس

كما أشرنا سابقاً يعد السجع والجناس من عناصر التماسك الصوتي واللذين يسهمان في تحقيق الاستمرارية في النص، وفي هذا المقطع من الخطبة الغرّاء – وفي كل الفقر بعد ذلك – عمل الجناس بأنواعه على إقامة الربط الصوتي بين الجمل وبذلك أسهم في تشكيل شبكة الاتصال الداخلي بين أجزاء النص وتلاحم الفقرات:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلاَ بِحَوْلِهِ، ودَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وفَضْلٍ، وكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وأَزْلٍ.

هذه ميزة كلام الإمام عليّ – عليه السلام – حيث نجد الجمع بين السجع والجناس «حوله، طوله»، وكثرة التجنيس في فقرات مسجوعة، متوازية من أول الخطبة الغرّاء إلى نهايتها مما يحفظ للنص استمراريته ويجعل المتلقي يشعر بتتابع النص وجريان الموضوعات المتواصلة التي يهدف إلى توصيل المتلقي إلى نقطة مهمة شعوراً حيّاً وهذا الشعور هو ما يدفعه يأخذ النص بعين الاعتبار في تحليل النصوص.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و سلّم – عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ.

مما أسهم في اتصال النص إسهاماً قوياً هو جناس الاشتقاق في قوله «رسوله، أرسله»، وهو مما يطلق عليه دي بوجراند ودريسلر «التكرار الجزئي»، الذي أسهم في إقامة الربط الصوتي في هذا المقطع، ويظهر دور هذا الربط الصوتي والدلالي أكثر إذا

نظرنا إلى عدم استخدام أداة الربط لوصل الجملتين فوظيفة اتصال النص هنا على عاتق الربط الصوتي أكثر من أية أداة أخرى، والجناس من أهم عناصر الربط الصوتي الذي ربط بين الجمل برباط الصوت والاشتقاق والمعنى .

وتختلف نظرة البلاغة إلى السجع والجناس من نظرة نحو النص، فتطرق علماء البلاغة منذ القدم إلى شرحهما في دائرة علم البديع. فمن الطريف أن نعرف وظيفة السجع والجناس من منظور مختلف البلغاء على مدى التاريخ.

وينبغي التنبّه إلى وظيفة البديع في الكلام أولاً. يؤكد ابن الأثير على تحسين الكلام كفائدة للبديع «فأما التحسين فإن الواضع لهذه اللغة العربية التي هي أحسن اللغات، نظر إلى ما يحتاج إليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر، ورأى أن من مهمات ذلك: التجنيس، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة التي هي كل اسم واحد دل على مسميين فصاعداً»(٢٦)، ويذهب بعضٌ إلى أنه لا فائدة للبديع غير التزيين، فيذهبون إلى أنّ البديع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، إذن وظيفة السجع والجناس والتوازي وغيرها من عناصر البديع، هي التحسين في اللفظ والمعنى، فالبديع مجرد حلية يزين أو يحسن بها الكلام(٢٧).(

لكن الاستدلال بكلمة «التحسين» لـلحكم على كون البديع وسيلة للتزيين ليس بصحيح، لأن التحسين دائرة أكبر من التزيين، وربما تطلق هذه الكلمة على مقومات مختلفة، واختيارات متناسبة في الكلام. وذلك لما نجد في كتب علماء البلاغة والنقد من شروط ومعايير تنمّ عن وجود وعي أعمق عندهم وأنهم في باب البديع رنوا إلى غرض أسمى من تزيين الكلام والتلاعب بالألفاظ.

فالأصل في السجع هو الاعتدال في مقاطع الكلام، ويحتاج الكلام المسجوع عند ابن الأثير إلى أربعة شروط:

- اختيار مفردات الألفاظ: فلابدّ أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة، حارة، طنانة، ورنانة، خالية من الغثاثة والبرد.
- اختيار التركيب المناسب والنظر إلى حسنه.
- الانتباه للمعنى: أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني، لا المعاني تابعة الألفاظ.

- مراعاة الإيجاز والخلاصة المطلوبة بالسجع: فلا بدّ أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها، فبورود سجعتين تدلان على معنى واحد يحدث التطويل، لأن التطويل هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها، وإذا كان المعنى فيهما سواء فإحداهما كافية للدلالة عليه(٢٨).

هذه من ميزات السجع في الكلام البليغ، وإذا نظرنا إلى خطب الإمام عليّ – عليه السلام- في نهج البلاغة وتعمقنا في كيفية استخدام السجع، واختيار الألفاظ، والتراكيب وجدنا أنّ هناك تناسباً ملحوظاً بين اللفظ والمعنى، وأنّه – عليه السلام- وظّف عناصر البديع - من السجع والتجنيس وغيرهما- خير توظيف لتوصيل غرضه وإثارة المخاطب موفياً في كل اختيار لشروط حسن السجع، نحو هذا المقطع من الخطبة الغرّاء :

قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وانْقَطَعَ الْأَمَلُ، وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً، وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ، وَأُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ، وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ.

عملت الأسجاع على تلخيص الكلام وإيجازه؛ حيث نرى أن الأسجاع ليست مترادفة بعضها مع بعض، وليست دلالاتها متشابهة، بل تبعد الدلالات ليكون كل جملة حاملة لمعاني كثيرة كانقطاع الأمل والخشوع والخوف و.. إلخ، ومختلفة عما يليها، فتحقّقت بالسجع تلك الخلاصة المطلوبة منه في كل كلام بليغ والألفاظ حلوة، رنّانة، متساوقة، ومتلائمة مع سائر الألفاظ وهي تابعة للمعاني وليست المعاني تابعة لها.

ومن الجوانب الرئيسة التي يهتم بها علمُ لغة النص في تحليل الجناس هو أنّه لا تكمن أهمية الجناس في خلق تلك المساحات المتتابعة في سطح النص من التشابه الصوتي فقط، لأنه يفيد في إظهار تلك الكلمات المتجانسة بشكل أوضح فالسجع يُظهر الموسيقى من خلال نهايات التراكيب، فيخلق لدى المتلقي شعوراً بالائتلاف مع النص، والجناس يظهر بعض الكلمات المهمة بشكل خاص، فيعمل بذلك على إيضاح معاني معينة يرغب الكاتب في تكثيف تواجدها دلالياً(٢٩). هذه الوظيفة هي ما يؤديها عنصر آخر يدخل تحت مجموعة العناصر الصوتية في الدراسات الإيقاعية، وهو عنصر التكرار، فيمكننا أن

نعتبره من عوامل إقامة الربط الصوتي بين أجزاء النص، حيث يساعد المتلقي على فهم استمرارية النص. نحو ما نجد في الخطبة الغرّاء من تكرار لفظة الجلالة:

- فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ..
- فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ..

فيعمل تكرار لفظة الجلالة وتكثيف حضوره في جملة «فاتّقوا الله عباد الله» على تماسك النص أولا والتبرك بها والتلذذ منها ثانيا. فتكرّرت لفظة الجلالة «الله» في الخطبة الغرّاء ١٣ مرة، وتكرّرت عبارة «عباد الله» أول الفقر- وهو ما يُعرَف في الدراسات النصية الصوتية بجناس البداية- خمس مرات، كما تكرّرت التوصية بالتقوى بجناس الاشتقاق أو التكرار الجزئي بتكرار مشتقات «تقوى» :«اتقوا، تقوى، تقية»: «أوصيكم بتقوى الله» و«اتقوا الله» خمس مرات من بداية الخطبة الغرّاء إلى نهايتها كذلك.

ومن المواضع الأخرى التي نرى فيها براعة ملحوظة لتوظيف عنصر التكرار، هو المقطع الثاني من الخطبة الغرّاء، حيث استهل الإمام الحديث بتقوى الله، وكرّر لفظة الجلالة وركز على كلمة «الأمثال:«

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُم الْأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمُ الْآجَالَ، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَعَ لَكُمُ الْمَعَاشَ...

فينبغي الانتباه لما سيأتي ذكره لاحقاً لنجد السبب من التركيز على كلمة «الأمثال» في بداية هذا المقطع، فكل ما سيوصَف بعد ذلك - من الدنيا، ومختلف صفاتها، والموت، ومختلف أحوال الموتى- أمثال ومواعظ إلى أن نصل بعد ثلاثة مقاطع إلى هذه الكلمة «أمثال» مرة أخرى لتكون موضوعات الخطبة كلها خاضعة لتشكيل شبكة ذهنية متلاحمة في ذهن المتلقي:

فَيَالَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وَآرَاءً عَازِمَةً، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً!

فتنعكس المقدمة في هذا المقطع من الخطبة، وبعبارة أخرى يربط الإمام –عليه السلام- بين هذين المقطعين اللذين تفصل بينهما مقاطع، وذلك من خلال التذكير بتقوى الله الذي ضرب الأمثال، وربطه بتذكير جديد للأمثال «فيالها أمثالاً صائبة..»(٣٠ .)

أما عن بلاغة الجناس وشروط حسنه عند البلغاء فيمكن استنباط أربعة معايير مما أشار إليه الجرجاني في باب التجنيس، وهي:

- أن يكون المعنى هو الذي يقتضي الجناس ويوجِب إيراده، وبذلك يرفض كل جناس جيء به زخرفاً صوتياً لأنه لا يتداعى مع المعاني ولا يكون له تأثير.
- أن يكون كأحد أركان الكلام لايُستغنى عنه، ولا يستبدل بسواه، ليكون قادراً على إثارة الإحساس في النفس .
- أن يؤتى به من غير قصد، وينشأ في الكلام عن ذوق المتحدث وفطرته، ولا يكون المتحدث متكلفا فيه، لأن الجناس الذي يؤتى بإرادة المرسل لا يحمل قيمة، ولايعبر عن أية فكرة.
- أن يكون متساوقاً مع سائر الألفاظ، ومتلائماً معها في موسيقى أجراس الحروف ومتجاوباً مع أصداء أبنيتها، وهذا ما يظهر أهمية الجناس في خلق الإيقاع الداخلي في الكلام(٣١.(
- وما عدّه القزويني من وظائف الجناس وأغراضه: حسن الإفادة في الجناس التام، والإعادة، والتقرير والتأكيد(٣٢.(

وكما أشير آنفاً يفيد السجع والجناس في علم النص إظهار الموسيقى من خلال نهايات التراكيب، وخلق الإحساس بالائتلاف مع النص لدى المتلقي، لكن هناك وظائف وأغراض أخرى عدّها البلاغة للسجع والجناس هو ما ذهب إليه الجرجاني في تحليل عناصر البديع الصوتية حيث يرى أن السامع يفاجأ باستماع السجع والجناس بأمر غير مرتقب لا يتوقعه إذ يتبادر إلى ذهنه أن الكلام مكرر لكنه يواجه ويتفاجأ بعكس ذلك حينما يعود إلى المعنى، ولذلك يرجع حسن السجع والجناس في البلاغة إلى المعنى فضلاً عن اللفظ(٣٣). فبينما يؤكد نحو النص على دور السجع والجناس في خلق عنصر الائتلاف مع النص لدى المتلقي بإظهار الموسيقى من خلال النهايات المتشابهة، هناك عنصر مهم دلّنا إليه الجرجاني وهو عنصر المعنى والمفاجأة به، إذ ترى – على رأي الجرجاني – أن المرسل «قد أعاد عليك اللفظة كأنّه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفّاها، ولهذه النكتة كان التجنيس من حليّ الشعر»(٣٤). وذلك ما نجده في كثير من مقاطع الخطبة الغرّاء، فإنّ ما يسمعه المتلقي

خلال السجع والجناس هو تكرار الصوت الواحد، والوزن المشترك، واللفظة المتشابهة، لكنه يفاجأ بالمعاني المتنوعة، والدلالات المتباعدة:

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ.

فالصورة التي يجدها السامع بادئ الأمر هنا أنه خلق السجع والجناس إيقاعاً تألفه الأذن وتأنسه الأذهان بتكرار الصورة والوزن، لكنه يفاجأ بعكس ذلك حينما يواجه التضاد الذي يجده بين بعض المعاني نحو «يونق» و«يوبق»، وهذا مايجذب المستمع تاركاً فيه خير أثر لتلقي المفاهيم، وبعبارة أخرى هذا الأسلوب يسوق المتلقي بصورة خفية إلى الانتباه الأكثر وبالتالي إلى الاعتبار. مع ذلك، فإنّ التضاد بين معاني «يونق ويوبق»، إضافة إلى الاضطراب بتغيير الحركات في كلمتين «رَنِقٌ» و«رَدِغٌ»، - الانتقال من حركة الفتحة إلى الكسرة ومن الكسرة إلى تنوين الضمة - وتداخل استخدام الجمل الاسمية والفعلية، كله يتناسب مع معنى الدنيا، وما فيها من الاضطراب والزلة والزوال والخدعة.

ينقسم السجع في الدراسات البلاغية - على أساس الطول- إلى السجع القصير أو القريب، والطويل، والمتوسط(٣٥). هذا التقسيم مما استفاد منه الباحثون في تحليل الظواهر الصوتية في النص، وكيفية اتصال النص بمختلف أنواع السجع.

ومن أمثلة السجع القريب في الخطبة الغرّاء هي:

- فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ.
- عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً، وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً، وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً، وَمَدِينُونَ جَزَاءً، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً.

تظهر إحدى فاعليات نحو النص في تحليل الروابط الصوتية عند النظر إلى المسافة القريبة أو البعيدة بين عناصر التماسك الصوتي، حيث عمل السجع القصير أو القريب في هذه العبارات المتوازية من الخطبة الغرّاء مثلاً على تكثيف الأفكار الأصلية وأدّى إلى سرعة عرض الدلالات المهمة والمركزية التي قصدها المرسل. والتماسك النصي يخلق في النص شبكة من الاتصالات الصوتية التي تقوم على مبدأ التكرار الفونيمي، حيث نجد

في المقطع هذا علاقات عديدة من السجع والجناس تربط بين العناصر المتكرر فيها الفونيم، فينسجم بها النص.

وهناك أسجاع قريبة جداً في الخطبة الغرّاء تحمل دلالات متنوعة:

اتَّقُوا اللهَ تَقيَّةَ مَنْ سَمعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، ووَجِلَ فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ، وَحُذِّرَ فَحَذِرَ، وَزُجِرَ فَازْدَجَرَ، وَأُجَابَ فَأَنَابَ، وَرَاجَعَ فَتَابَ، وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى، وَأُرِيَ فَرَأَى .

من جماليات توظيف الربط الصوتي في هذا المقطع هو تداخل السجع والتجنيس الذي قام بتأكيد كلمات مهمة أراد الإمام عليّ -عليه السلام- أن يظهرها بشكل خاص ورغب في تكثيف دلالاتها، منها: معنى التقوى حيث عمل جناس الاشتقاق(التكرار الجزئي على رأي دي بوجراند ودريسلر) «اتقوا، تقيه» على تكرار المعنى والتأكيد عليه في الكلام، ومنها معنى العبرة والحذر: «عُبِّرَ فَاعْتَبَرَ»، «حُذِّرَ فَحَذِرَ». إضافة إلى ذلك اتصلت الكلمات والجمل في هذا المقطع كحلقات سلسلة يربط بعضها بعضاً برباط تلك الأسجاع المتراكمة وتداخل السجع والجناس وهذا مما يذهب إليه نحو النص في تحليل كثرة السجع والجناس في النص .

وتعد البلاغة لكل أنواع السجع من القريب، والمتوسط، والطويل جماليات، وعلى الباحث الذي يقصد تحليل الكلام تحليلاً بلاغياً أن يهتم بالأغراض والأهداف التي أدّت إلى استخدام السجع القريب أو البعيد. هذا ما يؤكد عليه الجرجاني في باب البديع من لزوم الانتباه لمقاصد المرسل والعلل التي تؤدّي إلى اختيار لغويّ خاص، المفهوم الذي يعبّر عنه الجرجاني بكلمة «النظم»: «واعلم أنه قد آن لنا أن نعود إلى ما هو الأمر الأعظم والغرض الأهم، والذي كأنّه هو الطلبة وكل ماعداه ذرائع إليه، وهو المرام وماسواه أسباب للتسلق عليه، وهو بيان العلل التي لها وجب أن يكون لنظمٍ مزية على نظم وأن يَعمّ أمر التفاضل فيه ويتناهى إلى الغايات البعيدة»(٣٦.(

فإذا أردنا التحليل البلاغي لهذا المقطع «اتَّقُوا اللهَ تَقيَّةَ مَنْ سَمعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ..» فلابدّ أن نبحث عن أهداف مهمة رمى إليها أمير البيان بالتوظيف المكثّف لعناصر البديع من السجع القريب بين الجمل: «سَمعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَوَجِلَ فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ..»، وجناس الاشتقاق «اتقوا، تقية» و«عبر، اعتبر» و«زجر،

ازدجر»، والجناس الناقص «حُذِّر، حَذِرَ» «أجاب، أناب»، فمما ينتج من اختيار هذا الأسلوب هو:

- التأنّي المتكرر الذي يقع بين الجمل التي لا تحتوي إلا على كلمة واحدة «سمع- فخشع- اقترف – فاعترف – وجل – فعمل«...
- تقصير الجمل و تكثيرها
- قطع النَفَس مرة بعد أخرى في فواصل قريبة يقرأ خلالها الجمل القصيرة
- عدم الثبات في توظيف حرف واحد تكرر في النهايات المسجوعة إلى نهاية الفقرة«سمع فخشَع، واقترَف فاعترَف، ووجل فعمل، وحاذر فبادر«..
- جريان الأحداث المتتابعة، وعدم الجمود والثبات في الموضوعات

كل ذلك يحثّ المتلقي على متابعة الأحداث ويجعله يحسّ بعدم الثبات والاستقرار، فينسى الجمود، والكسل، وينتبه للزوم اغتنام الفرصة والقيام بالعمل، كل ذلك باستعانة العناصر البديعية الصوتية التي وظّفها الإمام –عليه السلام، ببراعة لامثيل لها، في هذه الخطبة العجيبة التي خطبها لوصف حال الدنيا ولزوم الحذر منها ورفض الاعتماد عليها، وعدم الثقة بثباتها. فكل ما في الخطبة من مفردات وأوزان وتراكيب واختيارات لغوية بديعية يجري في مسير مرمى الإمام –عليه السلام.-

هذا الإحساس أي عدم الثبات والاستقرار الذي يُلقى إلى المتلقي بقطع النفس مرة بعد أخرى، هو ما نجده في مقطع آخر من الخطبة الغرّاء :

أُولِي الْأَبْصَارِ وَ الْأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ! أَمْ لَا؟ (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)! أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ! أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ!

وبقدر ما يسوق ويرشد هذا الأسلوب المتلقي إلى عدم الاستقرار والجمود، يدل على الاستقرار الذهني للمرسل (الكاتب أو المتكلم) وقت الخطابة كما يدل على مقدرته العالية في أداء خطبة متناسبة الألفاظ، متناسبة المعاني، ومتناسبة الموضوعات كذلك. وبذلك راعى الإمام -عليه السلام- شرط السجع والجناس في كلامه لأن الألفاظ تابعة للمعاني والكلام بحاجة إليهما.

ويذكر ابن أبي الحديد أن أمير المؤمنين -عليه السلام- أثار إعجاب الفصحاء والبلغاء بقوله: «هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ!» فكلّ لفظة من هذا الكلام آخذة بعنق قرينتها، جاذبة إيّاها إلى نفسها(٣٧.(

فإننا نواجه في خطب نهج البلاغة عامة والخطبة الغرّاء خاصة، إيقاعات هائلة ومثيرة تحتشد بشكل مكثف ومنتظم ومستمر، فلا تقف الخطبة الغرّاء مثلاً عند التجانس الصوتي بين الفواصل، بل تتجاوزه إلى المفردات المتتابعة أيضاً: «هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ!»، «اَتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَوَجِلَ فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ..»، والمهم هو أن أمير البيان يجمع بين الكثافة والتنويع كليهما عند توظيف العناصر البديعية الصوتية(٣٨.(

إذن يبدو أنّ البلاغة توسّع إمكانيات المحلل بتوسيع نطاق التحليل لأنها تبسط أيدي المحلل وتجعله حرّاً يتّجه أينما أراد ليبحث عن الأغراض والعلل التي يقصدها المرسل من إيثار اختيار على آخر. ومن الجماليات الأخرى للسجع القريب في الخطبة الغرّاء يمكن الإشارة إلى هذا المقطع:

- أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِه، وَسَوَابِغِ نِعَمِه، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً، وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً.

في هذا المقطع تلفت الأسجاع القصيرة انتباه المتلقي إلى الفرق الموجود بين الجمل، وتجعله قادراً على التمييز بين موضوعات كل جملة؛ حيث يتناسب موضوع كل جملة مع نهايتها المسجوعة، تتناسب الصفتان «أولاً وبادياً» مع موضوع «الإيمان»، وتلائم «قريباً» و«هادياً» وطلب الهداية من الله تعالى، ويستعين الانسان بالقاهر القادر، ويقتضي التوكل، الإيمان بصفة الكفاية والنصرة من الله تعالى. فالأسجاع القصيرة تساعد المتلقي على إدراك هذه المناسبة وذلك الفرق بين موضوعات الجمل المسجوعة؛ فإذا كانت الأسجاع طويلة كان السامع بحاجة إلى أن يعود إلى الجمل ويكرر المعاني في نفسه ليتمكن من فهم هذه المناسبة .

وإذا نظرنا إلى الربط الصوتي من أول الخطبة الغرّاء إلى آخرها وجدنا أن السجع - والتوازي الذي سيأتي ذكره لاحقاً- لا يتركان الكلام ولا يخلو سطر منهما، و يثبت استمراريةَ الكلام وارتباطه من البداية إلى النهاية ألفاظٌ مؤكدة في الكلام، وجناس

الاشتقاق أو التكرار الجزئي على رأي بوجراند ودريسلر- على الأخص بتكرار مشتقات «تقوى»: «اتقوا، تقوى، تقية»- في أكثر المقاطع، وما يُعرَف في الدراسات النصية الصوتية بجناس البداية الذي يتمثل في الخطبة الغرّاء بتكرار لفظة «عباد الله»، «عباد» أول المقاطع، كل ذلك يؤكّد على كون الكلام نصاً واحداً.

إن أكثر أنواع السجع في الخطبة الغرّاء هو السجع القصير أوالقريب، لكن خطبة الأشباح تحتوي على جمل ذات أسجاع متوسطة وطويلة، ومن أمثلة السجع الطويل في خطبة الأشباح:

- وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ.
- فَمَدَحَ اللهُ - تَعَالَى - اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً.

ففي هذا الكلام الجميل نجح الإمام -عليه السلام – في إثارة عواطف المخاطب وذلك بتوظيف عنصر السجع، حيث ساق المتلقي بتوظيف الأسجاع والنهايات المتشابهة إلى التفكير والتركيز على الألفاظ والمراجعة إلى ألفاظ السجع وإلى معانيها وتكريرها في نفسه، فتتماسك مجموعة طويلة من النص بالأسجاع التي تربط بين الجمل الطويلة، فيتضح أنّ نظرة نحو النص إلى العناصر الصوتية هي نظرة التكرار والإعادة مركّزةً على دور هذه العناصر في ترابط النص.

- هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَغَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لاَ تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَتَنَاوَلَ عِلْمَ ذَاتِهِ، رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ، مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لاَ يُنَالُ بِجَوْرِ الاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ، وَلاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلاَلِ عِزَّتِهِ .

الأسجاع طويلة في هذا المقطع من خطبة الأشباح، وتعود الضمائر في أواخر الجمل المسجوعة كلها إلى «الله تعالى» وهذا من جماليات هذا الخطاب البلاغية حيث ذكر أمير المؤمنين -عليه السلام- مختلف الموضوعات وتحدث عن مختلف الظواهر من الأوهام،

والفكر، والوساوس، والملكوت، والقلوب، والعقول و.. إلخ، لكنّه لايزال يختم الجمل كلها بالضمير الراجع إلى «الله» تعالى؛ إذ يدور الخطاب حوله ويركز عليه في الوصف والتصوير.

وهناك ميزة أخرى تميّز بين الخطبتين وهي تغيير حروف الأسجاع مرة بعد أخرى، وعدم ثباتها في الاختتام بحرف واحد في الخطبة الغرّاء:

اتَّقُوا اللهَ تَقيَّةَ مَنْ سَمعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، ووَجِلَ فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ، وَحُذِّرَ فَحَذِرَ، وَزُجِرَ فَازْدَجَرَ، وَأُجَابَ فَأَنَابَ، وَرَاجَعَ فَتَابَ، وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى، وَأُرِيَ فَرَأَى، فَأَسْرَعَ طَالِباً، وَنَجَا هَارِباً، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً..

فتغيرت أحرف السجع تسع مرات في هذا المقطع القصير، وتُوظف أحرف: «ع»، «ف»، «ل»، «ر»، «ن»، «ر»، «ب»، «ى»، «باً»، «ةً» نهاية الكلمات المسجوعة. وهذا في تناسب تامّ مع هذه الخطبة وموضوعاتها من وصف حال المرء في الظروف المختلفة، ووصف الدنيا وتغيراتها الدائمة، وعدم ثباتها وثبات أهلها في آن واحد .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمُ الْآجَالَ، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ، وَأَحَاطَ بِكُمُ الْإِحْصَاءَ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالرِّفَدِ الرَّوافِغِ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ. فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً، ووَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ، وَدَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

و في هذا المقطع تغيرت أحرف السجع ست مرات، والأمر كذلك في المقطع التالي:

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً، وَنَفَثَ فِي الْآذَانِ نَجِيّاً، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

ينما نرى في بعض المقاطع لخطبة الأشباح ثبات أحرف الأسجاع خلال مقطع طويل وتكرار حرف واحد في نهاية جمل عديدة:

فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وَحَمَلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا، فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا،

وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا، وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا، وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا. وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا. ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا، وَلاَ تَجِدُ جَدَاوِلُ الأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا.

استخدم الإمام عليّ -عليه السلام- في هذا القسم الجمل القصيرة والطويلة كلتيهما، فقربت الفاصلة بين الأسجاع حيناً وبعدت حيناً آخر، مع ذلك لا تزال تتشابه النهايات ولا يترك ضمير «ها» أواخر الجمل. فهذه الخطبة موضوعةٌ لوصف مظاهر خلقة الله وما ليس علمه لدينا من كيفية خلق السموات والأرض، وتأثير بعض الظواهر الطبيعية على بعض، وكيفية خلق الملائكة، وتوصيف مختلف صنوفهم فيلزم أن يتكوّن في ذهن المتلقي ثبات واستقرار ذهني ليفسح المجال للتأمل والتأني، الغرض الذي أدّاه أمير البيان -عليه السلام -خير أداء بتوظيف الصنائع الصوتية البلاغية بأجمل الأساليب وأحسن الاختيارات.

ومما عدّه الجرجاني من معايير السجع والجناس وشروط لحسنهما هو المعنى، حينما يؤكد على «أنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعاً حسناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً، وتجد عنه حولاً، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه»(٣٩)، فالمقبول في هذا الباب أن يُقصد معنى ما بعناصر البديع أو أن يكون المعنى هو الذي يطلب السجع والجناس لإفادة معاني خاصة، وبذلك فالمعنى والدلالة أصلان لابدّ من مراعاتهما .

ومن قبيل ذلك ما نجد في الخطبة الغرّاء وبشكل أوسع في خطبة الأشباح من عدم توظيف السجع تبعاً للمعاني التي يقصدها أمير البيان الإمام علي- عليه السلام- فتعني البلاغة في تفسير الكلام وتحليله بتوظيف السجع في كلامٍ ما وعدم توظيفه كذلك، وتتناول كيفية السجع وكميته كلتيهما:

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ النُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ، وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ ..

من الجماليات البلاغية في كلام الإمام – عليه السلام - هو أنه كلما تنوعت المعاني وبعدت دلالاتها، اختلفت الفواصل وتُرك السجع، وكلما تشابهت المعاني وأغراضها جاء الكلام مسجوعاً، هذا ما نجده في مقطع واحد من الخطبة الغرّاء، حيث جاءت الجمل:«تصرمت الأمور» و«تقضت الدهور» و« أزف النشور» كلها في سياق معنى واحد وهو انتهاء أمر الدنيا وقرب وقوع القيامة لكنه إذا أراد الإمام -عليه السلام- أن يصوّر تعدّد الأماكن التي تخرج منها أجزاء جسم الإنسان أو الكائنات الأخرى، أو تنوّع تلك المخلوقات، ترك السجع ليخلق بذلك في الكلام جرساً إيقاعياً متنوعاً يتناسب مع المعنى والغرض: «أوكار الطيور، وأوجرة السباع، ومطارح المهالك.«

هذا الأسلوب أي عدم توظيف السجع في بعض مقاطع الكلام هو ما نواجهه بشكل أوسع في خطبة الأشباح، إذ إنها خطبة علمية يُشرَح فيها أصناف الظواهر الكونية ومختلف الموضوعات العلمية التي ترتبط بالسموات والأرض، نحو هذه المقاطع:

مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ، وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ، وَفِي قَتْرَةِ الظَّلَامِ الْأَيْهَمِ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتِ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ.

ففي هذا المقطع لا يوجد سجع إلا في موضع واحد وربما كان السبب هو أن يجعل الإمام عليّ-عليه السلام- ظاهر الكلام متناسباً مع معناه وموضوعه، فبما أن أمير المؤمنين-عليه السلام- يقصد أن يشرح مختلف أنواع الملائكة وأصنافهم قلّل من استخدام النهايات المتشابهة والمسجوعة لتكون النهايات المتنوعة متلائمة ومتناسبة مع تنوع أصناف الملائكة. فأوفى شروط البلاغة في استخدام الصناعات البديعية؛ إذ يكون السجع وعدمه في خدمة المعنى ومتناسباً معه.

والذي توصلنا إليه البلاغة إثر البحث عن مقاصد المرسل وأسباب الاختيارات اللغوية من جماليات بديعة لعدم توظيف السجع في الكلام هو ما يختص البلاغة فحسب لأنها بلاغة التفكير والتحليل بالتعليل.

وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، وَلاَتَوَلاَّهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ، وَلاَ تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ، وَلاَ اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مَنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلاَ عُدُولٌ وَلاَ وَنًى وَلاَ فُتُورٌ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً.

قلّت الأسجاع في هذا المقطع لكنه تتناسب قلّة الأسجاع وعدم تشابه أواخر الجمل واختلاف الكلمات الأخيرة في الحروف مع المعاني المذكورة في هذا القسم من الاختلاف والتفريق والتحاسد والتشعب والاقتسام والتفكيك، وأظهر الإمام -عليه السلام- ذلك الاختلاف والتفريق باستخدام البدايات المتشابهة بأداة «لا»، «لم»، «ليس» وتكرارها المكثف في الكلام .

فتحليل تواجد العناصر اللغويّة في كلام ما وعدم تواجدها، وتفسير كمية ورودها وكيفيتها يعد مقدرة ثمينة وطريفة للبلاغة، تتجلّى أهميتها عند تحليل الكلام الراقي الذي يفوق كلام المخلوق، لأنه ما من حاضرة ولاغائبة، ولا قلة ولاكثرة في كلام الإمام إلا ولها مرامي معينة، وأهداف مهمة تهدي المتلقي إلى المقصد.

ومن الأمثلة الأخرى لعدم توظيف السجع وتركه في الكلام تبعاً للمعاني والأغراض التي قصدها الإمام – عليه السلام – يمكن الإشارة إلى هذه المقاطع من خطبة الأشباح:

- »ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ، وَمَلأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ وَسُتُرَاتِ الْحُجُبِ وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ » فتنوعت نهاية العبارات «القدس .. الحجب .. المجد» تأكيداً على تنوع الأمكنة التي يسبّح فيها الله تعالى وكثرتها.
- ترك السجع في جملة: «وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالأَقْدَارِ، وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ» لتوصيل معنى الاختلاف والتنوع: «فَتَمَّ خَلْقُهُ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ، وَلاَ أَنَاةُ الْمُتَلَكِّئِ، فَأَقَامَ مِنَ الأَشْيَاءِ أَوَدَهَا، وَنَهَجَ حُدُودَهَا، وَلاَءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا، وَفَرَّقَهَا

أَجْنَاساً مُخْتَلِفَات فِي الْحُدُود وَالأَقْدَار، وَالْغرَائِز وَالْهَيْئَات، بَدَايَا خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا«

يستنتج مما سبق الاختلاف بين فاعلية البلاغة وفاعية نحو النص في تحليل السجع والجناس، فبينما يؤكد نحو النص على التكرار والإعادة كوظيفة رئيسة للعناصر الصوتية كالسجع والجناس، ويركز على دور هذه العناصر في ترابط النص وتلاحم أجزائه، نجد البلاغة تعني بمقاصد المرسل من كل اختيار وبأثر كل من السجع والتجنيس في مختلف المواضع، وبالتالي بالأغراض التي يُستهدف توصيلها إثر توظيف شكل خاص من السجع والتجنيس.

التوازي الصوتي بين الدراسات النصية والبلاغة

التوازي التركيبي أو الموازاة هو تكرار البنية التركيبية مع ملئها بمحتوى مختلف، فتعاد السلاسل المتشابهة ولكن تتنوع وتتغير فيها الأحداث. والموازاة من العناصر النحوية المرتبطة بالإطار الصوتي للسبك. وتكرار التركيب نفسه على مسافات متساوية يخلق إيقاعاً تألفه أذن السامع؛ ويقوّى هذا الإيقاع بالأسجاع التي تقع بين أواخر التراكيب المتشابهة(٤٠). فيعد التوازي من الوسائل التي ينسبك بها النص، وهي ظاهرة تتعضد «بمفهوم الحذف، وهو تكرار المبنى مع إسقاط بعض عناصر التعبير. وهما وسيلتان من وسائل السبك بعيدتا الأثر في التشكيل اللغوي لهذا النص»(٤١).

وتعود الريادة في دراسة ظاهرة التوازي وكشف ارتباطها الوثيق بالشعر - في الغرب - إلى ياكوبسون من خلال دراسته التراث الشفوي للشعر الروسي، فاسترعت انتباهه ظاهرةُ التوازي التي ربطت من البداية إلى النهاية أبياتاً متجاورة، وقد عمق دراسة هذه الظاهرة وكشف عن تجلياتها المختلفة في مستويات متعددة. وأكد قبله هوبكنس أن بنية الشعر هي بنية التوازي المستمر(٤٢).

والمهم في الربط الصوتي من السجع والجناس والموازاة هو أنه لابدّ من أساس دلالي لهذه العناصر حتى يكون مقبولاً(٤٣). وهناك أشكال للموازاة منها :

- التوازي العباري والتوازي الجملي(٤٤).

ومن أمثلة التوازي العباري في الخطبة الغرّاء وخطبة الأشباح:

- مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلٍ، وَ كَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ أَزْلٍ

- عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً، وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً
- وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ، لاَ فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، وَلاَ دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلاَ قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلاَ مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ

و التوازي الجملي يربط بين الجمل ويظهر استمرارية النص بمجرد قراءة النص :

- قَمِصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَقَنِصَتْ بِأَحْبُلِهَا
- لْايَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، وَلاَ يَخْشَعُ تَقِيَّةً؛ فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً

ويعد التوازي الصوتي في البلاغة باباً من أبواب السجع ونوعاً منه، حيث ينقسم السجع في البلاغة إلى ثلاثة أقسام:

- المطرّف: ما اتفقت فاصلتاه في التقفية و اختلفتا في الوزن: «وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ سَيْرِهُما فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا، وَ نَاطَ بِهَا زِينَتَهَا، مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا، وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا »، «وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الأَنْعَامِ مَا لاَ تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الأَنَامِ «
- المرصّع: ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في التقفية و الوزن: «فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا»، «قَمِصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَقَنِصَتْ بِأَحْبُلِهَا«
- المتوازي: ما اتفقت فيه الفاصلتان في الوزن والتقفية: «فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً، ووَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ، وَدَارِ عِبْرَةٍ»(٤٥ .(

ولابدّ من مراعاة كل ما ذكر للسجع والجناس في باب التوازي الصوتي، فلا تختلف نظرة البلغاء إليه، إنها نظرة تعليل وتفكير وحكمة، كما هي الحال في السجع والجناس وفي كل الموضوعات البلاغية.

ومن الجماليات البلاغية لتوظيف العناصر الصوتية في الخطبتين هي قلّة السجع المرصّع والتوازي الصوتي في خطبة الأشباح نسبة إلى كثرة هذين العنصرين في الخطبة الغرّاء، وذلك لكون خطبة الأشباح موضوعة في شرح الموضوعات العلمية ووصف مختلف الكائنات، والظواهر الكونية .

فيما يلي ملخص من الفروق بين الخطبة الغرّاء وخطبة الأشباح في كيفية توظيف العناصر الصوتية وكميتها:

فيما يلي ملخص من الفروق بين الخطبة الغرّاء وخطبة الأشباح في كيفية توظيف العناصر الصوتية وكميتها

الخطبة الغرّاء	خطبة الأشباح
١.الجمل قصيرة والسجع قريب	١.الجمل ليست بقصيرة والسجع متوسط وطويل
٢.توظيف السجع والتوازي الصوتي في كل أسطر الخطبة	٢.عدم توظيف السجع والجمل المتوازية في بعض الأسطر
٣.التنويع في توظيف أحرف السجع وتغييرها المكرر في المقاطع	٣.ثبات الأسجاع في الاختتام بحرف واحد في أكثر المقاطع

فالسجع والجناس والتوازن الصوتي عناصر كثيراً ما استخدمها كل من نحو النص والبلاغة العربية في تحليل الكلام، هذه العناصر من أركان الإيقاع العربي في النظم والنثر، حيث يتشكل الإيقاع من مجموعة جرس الألفاظ وتناغم العبارات والتوافق الصوتي بين الحركات والسكنات. كل ذلك ينشأ من اختيار الألفاظ المتناسبة مع المعاني المنشودة وتوظيفها في النص لإفادة الوظيفة السمعية والتأثير في المستمع(٤٦)، فالتأكيد على الاختيار الصحيح والاهتمام بالغرض، والتركيز على التأثير السمعي كل ذلك يكشف لنا عن الفروق التي تميّز البلاغة وموضوعاتها الصوتية عن الدراسات اللغوية الصوتية كقضية التماسك الصوتي في نحو النص، إذ نشأت هذه النظرية الحديثة من الأساس لإظهار مكوّنات النص وكيفية اتصال عناصره، وما ينبغي لجميع الباحثين في حقل الدراسات اللغوية هو إدراك فاعلية كل نظرية قديمة كانت أم حديثة لئلّا يسوقهم عدم معرفتهم إلى الحطّ من شأنها .

إشارات بلاغية إلى قضية التماسك الصوتي

هناك إشارات إلى دور السجع والتجنيس في ارتباط أجزاء الكلام، منها إشارة ابن رشيق إلى دور التجنيس في ارتباط بعض الكلام ببعضه واتحاد البيت وجمله في تحليل هذا البيت:

مَـا تَـرَى السَّـاقِي كشَـمسٍ طَلَعَـت تَحمِـلُ المـريخَ في بُـرجِ الحَمـل

»فبهذا التجنيس تم المعنى وظهر حسنه؛ إذ كان برج الحمل بيت المريخ وموضع شرف الشمس، فصار بعض الكلام مرتبطاً ببعضه، ومظهراً لخفي محاسنه، وحصل التجنيس فضلة على المعنى»(٤٧.(

وتحدّث بعض علماء البلاغة والمفسرين القدامى عن دور البديع ولا سيما السجع والجناس في خلق الربط الصوتي بين أجزاء الكلام، وفي الدراسات القرآنية التي يأتي الكلام عن الفاصلة بدل السجع نرى الزركشي يتحدث عن دور التكرار الصوتي في الربط بين سورتي «المسد» و«الإخلاص»، فجاءت الفواصل في سورة الإخلاص على حرف«الدال»، ثم نرى سورة المسد تختم بفاصلة «الدال»، ويقوى هذا الارتباط حينما نجد فواصل سورة المسد على «الباء» ما عدا الفاصلة الأخيرة(٤٨)، يعتقد الزركشي أن إيقاع الفواصل في هذه السور يعمل على إقامة الربط بين السور فترتبط الآيات بعضها ببعض كحلقات سلسلة وذلك بتشابه الحروف الأخيرة:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ (المسد ، ١١١: ١-٥)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ (الإخلاص، ١١٢: ١-٤)

ويذكر ابن أبي الحديد أن أمير المؤمنين -عليه السلام- أثار إعجاب الفصحاء والبلغاء بقوله: «هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ!» فكلّ لفظة من هذا الكلام آخذة بعنق قرينتها، جاذبة إيّاها إلى نفسها(٤٩.(

فهناك إشارات متناثرة إلى دور عناصر البديع في الربط الصوتي في بعض الكتب البلاغية يتّضح بها أن البلغاء القدامى كانوا يعرفون الربط الصوتي وأدواته من السجع والجناس والفاصلة، وكانوا يتحدّثون عن التماسك والربط بين أجزاء الكلام بوصفه أمراً بديهيّاً في كل كلامٍ وما نرى في كتب القدامى من تصريحات حول ما يسبّب الترابط بين أجزاء الكلام يجعلنا نقرّ بأنّ البلغاء المسلمين كانوا يرمون في دراسة ظواهر الكلام إلى الكشف عن جماليات أسمى وأعمق من تواجد الربط والالتحام بين أجزاء الكلام.

النتائج

- للربط الصوتي بمختلف عناصره من السجع والجناس حضور فاعل ومستمرّ من بداية الخطبتين إلى نهايتهما ولاسيما في الخطبة الغرّاء، حيث لا يترك السجع مقطعاً من المقاطع في النص، وقلّما توجد جملة لم تُستخدم فيها أدوات الربط الصوتي، وهذا يدلّ على رغبة المرسل في إظهار خطابه بشكل مترابط شكلاً، وصوتاً، وخلق إيقاع تألفه أذن المتلقي. لكنّ التوازي الصوتي، والسجع المرصّع فنسبتهما قليلة جداً في خطبة الأشباح وذلك لكون هذه الخطبة علمية.
- تزخر الخطبتان كلتاهما بالجناس الناقص وما نجده بوضوح في كلام أمير المؤمنين -عليه السلام- هو البراعة في توظيف السجع والجناس والتوازي بألفاظ حلوة طنانة رنّانة، وبأوجز ما يمكن من العبارات، مراعياً تلك الخلاصة المطلوبة بالسجع بتنويع المعاني في ألفاظ السجع والجناس، تبعت الألفاظُ المعانيَ، وهي تفاجئ المتلقي بجدته وتنوّعه .
- عمل التكرار الذي يكمن في صورة السجع والجناس على تأكيد المعاني وترسيخها في الذهن وإظهار بعض الكلمات المهمة بشكل خاص، وإبراز معاني معيّنة يرغب الإمام عليّ -عليه السلام- في تكثيف تواجدها لفظاً ودلالة .
- الجمل في الخطبة الغراء أقصر جداً من الجمل في خطبة الأشباح لأن الأولى تجري في وصف حال المرء في الظروف المختلفة وهذا ما يعرفه الانسان، لكن الثانية موضوعةٌ لوصف الله تعالى ووصف مظاهر خلقته وما لا علم لنا به من كيفية خلق السموات والأرض، وتأثير بعض الظواهر الطبيعية على بعض، وكيفية خلق الملائكة وما أحاط به العلم الإلهي و... إلخ. فلكون الخطبة خطبة علمية احتاجت إلى إطالة الجمل لإيضاح الظواهر العلمية المعقّدة .
- تبعاً لتقصير الجمل في الخطبة الغرّاء وتطويلها في خطبة الأشباح، نجد السجع القصير غالباً في الخطبة الغراء، وما يغلب في الأشباح هو السجع الطويل، إضافة إلى تقليل استخدام السجع، في بعض الموضوعات لكونها في معرض توصيل الأوصاف الدقيقة العلمية إلى المتلقي .

- ينظر نحو النص إلى العناصر الصوتية نظرة التكرار والإعادة مركّزاً على دور هذه العناصر في ترابط النص، بينما تهتم البلاغة بمقاصد المرسل من اختيار كل فن بديعي وبأثر كل كلمة وتركيب في مختلف المواضع، وبالتالي بالأغراض التي يُستهدف توصيلها إثر توظيف كل عنصر لغوي أو فن أدبي.
- إن الاهتمام بتوظيف السجع في الكلام وعدم توظيفه كذلك، ميزة تختص بالبلاغة التي تنظر إلى الكم والكيف معاً وتمعن النظر في كل الاختيارات اللغوية، وهذه الميزة هي التي حقّقت لنا الوصول إلى تحاليل قيمة ومضبوطة في خطب نهج البلاغة، وذلك ما لايُهتَمّ به في علم لغة النص.
- فيجب علينا معرفة علم استخدمه العلماء لتحليل النصوص الأدبية الراقية -ولاسيما القرآن الكريم- وهوالبلاغة العربية التي يحكم بعض عليها اليوم ويرونها غير قادرة على تحليل النصوص، حال كونها من أروع الأساليب وأوفاها في تحليل النصوص الأدبية، فهي التي اجتازت مسير تبيين إعجاز القرآن الكريم مرفوع الرأس خلال أربعة عشر قرنا، فكانت ولاتزال قادرة على كشف ما يميّز نصا أدبيا راقيا من غيره.

Abstract

Research and study in the field of phonemes, their lingual and scientific characteristics and what is known as phonetics is one of the deep-rooted discussions in our Islamic culture. Many scholars from Arabs, Indians, Greeks and Persians since the ancient times and Western scholars in recent centuries all have studied the phonemes and their various aspects. This way a large number of researches were emerged in this field, each one based on elements such as lingual, phonetic, scientific, textural , … principles. Naturally in the daily increasing theories in this ground, we face criteria and terms which persuade us to recognize the distinctions and differences amongst these theories.

The paper tends to make a comparison between the efficiency of text linguistics and Arabic rhetoric in phonetic elements of speech analysis, and explain each rhetoric scholar and current linguists' solutions through descriptive-analytical method. Therefore in this study it is mainly focused on explaining the common phonetic elements between rhetoric and text linguistics as well as determining the common and different points between them in analyzing literary texts. The subject is reached in

the framework of analyzing literary and rhetoric texts and the great and precious book Nahj-al-Balagha.

One of the most prominent results of the present study is the differences between rhetoric and text linguistics in function, purpose, and method and accordingly the necessity of paying attention to the efficiency of each science and its utilization in its place as well as recognizing achievements of the Muslim scholars' valuable scientific legacy.

What are notified in text linguistics are the principles lead to making connection and cohesion among text components, whereas rhetoric focuses on what makes the speech more flourished, elegant and effective.

Key words : rhetoric , text linguistics , phonetic , cohesion , rhyme and pun

هوامش البحث

١. هاينه من، فولفجانج؛ و ديتر فيهيفيجر (١٩٩٩). مدخل إلى علم اللغة النصي. ترجمة: فالح بن شبيب العجمي. الرياض: النشر العلمي و المطابع. ص٢١.

٢. محمود خليل، إبراهيم (٢٠٠٩). في اللسانيات و نحو النص. ط٢. عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع، ص٢٢١.

٣. عفيفي، أحمد (٢٠٠١) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي. ط ١. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ص٣٣.

٤. عبد الراضي، أحمد محمد (٢٠٠٨). نحو النص بين الأصالة والحداثة. ط١. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ص١٧.

٥. أحمد فرج، حسام (٢٠٠٧). نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري. ط١. القاهرة: مكتبة الآداب، ص ١٧ .

٦. عبد الله، محمد فريد (٢٠٠٨) الصوت اللغوي و دلالاته في القرآن الكريم. الإسكندية: المكتب الجامعي الحديث، ص٢٤٦.

٧. راجع: حاجي زاده، مهين (١٣٨٨ش). «دراسة آراء سيبويه الصوتية في ضوء البحث اللغوي الحديث». مجلة التراث الأدبي. السنة الثانية. العدد الخامس: ص٦١.

٨. راجع: قدور، أحمد محمد (٢٠٠١). اللسانيات و آفاق الدرس اللغوي. ط١. دمشق: دار الفكر، ص٦٣.

٩. عفيفي، ٢٠٠١: ص٩٨ .

١٠. خمري، حسين (٢٠٠٧). نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال. ط١. الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، ص ٢٢٧ .

١١. الفقي، صبحي إبراهيم (٢٠٠٠). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. ط١. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ج١، ص٩٤.

١٢. مصلوح، سعد عبد العزيز (٢٠٠٣). في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة. ط١. الكويت: مجلس النشر العلمي. ص٢٢٧.

١٣. شبل محمد، عزّة (٢٠٠٧) علم لغة النص النظرية و التطبيق. تقديم: سليمان العطار. ط ١. القاهرة: مكتبة الآداب، ص١٢٥.

١٤. عبد المجيد، جميل (١٩٩٨) البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٢٢.

١٥. مصلوح، ٢٠٠٣: ص٢٤٤.

16. Halliday, M.A.K. & Ruqaiya Hasan (1976). Cohesion in English. Longman London and New York. P 10.

١٧. شبل محمد، ٢٠٠٧: ص١٢٥.

١٨. أبو العدّوس، يوسف (٢٠٠٧). مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني - علم البيان - علم البديع. ط١. عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع، ص٢٨٩.

١٩. ابن الأثير، ضياء الدين (د.ت). المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي و يدوي طبانة. ج١. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع و النشر. ج١، ص ٢١٠ .

٢٠. الربيعي، هناء رحيم (٢٠١١). «الجناس الصوتي و البلاغي في اللغة العربية□، مجلة آداب البصرة، العدد ٥٥، ص١٥٣.

٢١. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (١٩٥٢). الصناعتين الكتابة و الشعر. تحقيق: محمد علي البجاوي و محمد أبوالفضل إبراهيم . ط١. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. ص ٣٢١.

٢٢. أبوالعدوس، ٢٠٠٧: ص٢٧٦.
٢٣. بركات، محمد (١٩٩١) البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل. ط١. الإسكندرية: منشأة المعارف، ص ٦٣.
٢٤. الخطيب القزويني، جلال الدين محمد (٢٠٠٣). الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ص٢٨٨-٢٩٠.
٢٥. التفتازاني، سعد الدين (٢٠١٢) مختصر المعاني. ط ١٠. قم: دار الفكر، ص٢٨٩.
٢٦. ابن الأثير، د.ت: ج١، ص٥١.
٢٧. عبد المجيد، جميل (١٩٩٩) بلاغة النص مدخل نظري و دراسة تطبيقية. القاهرة: دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع: ص١٤.
٢٨. ابن الأثير، د.ت: ج١، ص٢١٣-٢١٥.
٢٩. أحمد فرج، ٢٠٠٧: ص١١٩ .
٣٠. بستاني، محمود (١٩٩٠) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي. بيروت: مجمع البحوث الإسلامية، ص٢١٨.
٣١. مطلوب، أحمد (١٩٩٩). البلاغة و التطبيق. ط٢. العراق: وزارة التعليم العالي و البحث العلمي. ص٤٥٤.
٣٢. القزويني، ٢٠٠٣: ٢٩٠و٢٩١.
٣٣.راجع: الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩١). أسرار البلاغة. جدة: دار المدني، ص٧و٨، والربيعي، ٢٠١١: ١٦٠
٣٤. الجرجاني، عبد القاهر (٢٠٠٧). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمد رضوان الداية و فايز الداية. ط١. دمشق: دار الفكر، ص٤٧٨.
٣٥. القزويني، ٢٠٠٣: ص٢٩٧
٣٦. الجرجاني، ٢٠٠٧: ص٤٧٨.
٣٧.ابن أبي الحديد (١٩٦٠). شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. ط١. ج٦. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية: ج٦، ص٢٧٨.

٣٨. بستاني، ١٩٩٠: ص٢٢٠.

٣٩. الجرجاني، ١٩٩١: ص١١.

٤٠. أحمد فرج، ٢٠٠٧: ص١٠٠.

٤١. مصلوح، ٢٠٠٣: ص٢٤٦.

٤٢. عبد المجيد، ١٩٩٨: ص١٢٢.

٤٣. أحمد فرج، ٢٠٠٧: ص١٠٢.

٤٤. راجع: المصدر نفسه: ص١٠٤، وشبل محمد، ٢٠٠٧: ص١٣١.

٤٥. راجع: التفتازاني، ٢٠١٢: ص٢٩٤.

٤٦. راجع: شاملي، نصر الله، وجمال طالبي قره فشلاقي (٢٠١١) «الإيقاع في خطب نهج البلاغة». مجلة العلوم الإنسانية الدولية. العدد ١٨ (٣): صص٨٣-٨٢.

٤٧. القيرواني الأزدي، ابن رشيق (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر و آدابه. ط٥. دمشق: دار الجيل، ص٣٢٩.

٤٨. راجع: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (١٩٥٧). البرهان في علوم القرآن. ج١-٤ تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. القاهرة دار التراث، ص٦٠ و٢٦٠، وعبد المجيد، ١٩٩٨: ١٣٢.

٤٩. ابن أبي الحديد، ١٩٦٠: ج٦، ٢٧٨

قائمة المصادر و المراجع

وخير مانبتدىء به القرآن الكريم

- ابن أبي الحديد (١٩٦٠). شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. ط١. ج٦. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- .(1960) --------شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. ط١. ج٧. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- ابن الأثير، ضياء الدين (د.ت). المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي و يدوي طبانة. ج١. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع و النشر .

- أبو العدّوس، يوسف (٢٠٠٧). مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني - علم البيان - علم البديع. ط١. عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع.
- أحمد فرج، حسام (٢٠٠٧). نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري. ط١. القاهرة: مكتبة الآداب.
- بركات، محمد (١٩٩١) البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل. ط١. الإسكندرية: منشأة المعارف.
- بستاني، محمود (١٩٩٠) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي. بيروت: مجمع البحوث الإسلامية.
- التفتازاني، سعد الدين (٢٠١٢) مختصر المعاني. ط ١٠. قم: دار الفكر.
- الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩١). أسرار البلاغة. جدة: دار المدني.
- .(2007) ----------دلائل الإعجاز. تحقيق: محمد رضوان الداية و فايز الداية. ط١. دمشق: دار الفكر.
- حاجي زاده، مهين (١٣٨٨ش). «دراسة آراء سيبويه الصوتية في ضوء البحث اللغوي الحديث». مجلة التراث الأدبي. السنة الثانية. العدد الخامس. صص٦٠-٦٢.
- الخطيب القزويني، جلال الدين محمد (٢٠٠٣). الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.
- خمري، حسين (٢٠٠٧). نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال. ط١. الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون .
- الربيعي، هناء رحيم (٢٠١١). «الجناس الصوتي و البلاغي في اللغة العربية»، مجلة آداب البصرة، العدد ٥٥، صص ١٤٢- ١٦٦.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (١٩٥٧). البرهان في علوم القرآن. ج١-٤ تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. القاهرة دار التراث.
- شاملي، نصر الله، و جمال طالبي قره فشلاقي (٢٠١١). «الإيقاع في خطب نهج البلاغة». مجلة العلوم الإنسانية الدولية. العدد ١٨ (٣). صص ٨١-٩٩.

- شبل محمد، عزّة (٢٠٠٧). علم لغة النص النظرية و التطبيق. تقديم: سليمان العطار. ط ١. القاهرة: مكتبة الآداب.
- الشريف الرضي، أبوالحسن (١٩٩٦). نهج البلاغة. شرحه محمد عبده. ط١. بيروت: دار الفكر.
- عبد الراضي، أحمد محمد (٢٠٠٨). نحو النص بين الأصالة والحداثة. ط١. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- عبد الله، محمد فريد (٢٠٠٨). الصوت اللغوي و دلالاته في القرآن الكريم. الإسكندية: المكتب الجامعي الحديث.
- .(1999) ---------بلاغة النص مدخل نظري و دراسة تطبيقية. القاهرة: دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع.
- عبد المجيد، جميل (١٩٩٨). البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية. الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (١٩٥٢). الصناعتين الكتابة و الشعر. تحقيق: محمد علي البجاوي و محمد أبوالفضل إبراهيم . ط١. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- عفيفي، أحمد (٢٠٠١) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي. ط ١. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- فان دايك، تون.أ (٢٠٠٥). علم النص مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمه و علق عليه سعيد حسن بحيري. ط٢. القاهرة: دار القاهرة.
- الفقي، صبحي إبراهيم (٢٠٠٠). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. ط١. ج١. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- قدور، أحمد محمد (٢٠٠١). اللسانيات و آفاق الدرس اللغوي. ط١. دمشق: دار الفكر.
- القيرواني الأزدي، ابن رشيق (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر و آدابه. ط٥. دمشق: دار الجيل.

- محمود خليل، إبراهيم (٢٠٠٩). في اللسانيات و نحو النص. ط٢. عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع.
- مصلوح، سعد عبد العزيز (٢٠٠٣). في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة. ط١. الكويت: مجلس النشر العلمي.
- مطلوب، أحمد (١٩٩٩). البلاغة و التطبيق. ط٢. العراق: وزارة التعليم العالي و البحث العلمي.
- هاينه من، فولفجانج؛ و ديتر فيهيفيجر (١٩٩٩). مدخل إلى علم اللغة النصي. ترجمة: فالح بن شبيب العجمي. الرياض: النشر العلمي و المطابع.
- Halliday, M.A.K. & Ruqaiya Hasan (1976). Cohesion in English. Longman London and New York.